

من ظلم يجسمه ابن ممتى تجسيما. وإنما نضحك لا للظلم الذى وقع على هؤلاء الأشخاص وإنما للتباين بين المقدمات والنتائج. فسيده تدخل عنده لتشكوه له خادمته، فإذا هما تخرجان فى حال شاذة، إذ نرى السيدة أصبحت خادمة والخادمة أصبحت سيده، وكذلك الشأن فى الرجل "الأجروود" فقد دخل بدون حية، وخرج ولا بد له من حية إلا أنها تنفت، أو قل: دخل مُتَّهَمًا وخرج مُتَّهَمًا. وفى النادرة الثالثة نرى القاتل يبرأ، والبرئ يُقتل، وكأنما لسنا بإزاء دار من دور الحكم والقضاء، إنما نحن بازاء ملعب هزلئ نرى فيه رجلا يأخذ سمت الحاكمين ويصطنع شاراتهم، ولكنه ما يبدأ النظر فى القضايا والحديث مع الخصوم: المدعين والمتهمين حتى يشوش عليه الأمر، فإذا هو يحكم دائما بحكومة مهوسة. وأى هوس يفوق هوس هذا الحاكم الذى يقلب الأوضاع فى قضاياها قلبا يزرى بعقولنا لأنه يلغياها إلغاءً، يلغى ما فيها من منطق وفكر مستقيم.

ونستمر فى قراءة كتاب الفاشوش، فإذا ابن ممتى يروى أن قراقوش طلب إلى أحد القضاة أن يهيب له حساب القمح والشعير والبقول والحمص، وقام القاضى بطلبه، إلا أنه وضع الحساب كله فى جريدة واحدة أو كما نقول نحن الآن فى صحيفة واحدة، فاختلط الأمر على قراقوش، وظن أن القاضى خلط هذه الأصناف بعضها ببعض، ولولا ذلك ما استطاع أن يجمعها فى جريدة واحدة وأمر بحبسه! وتنبه القاضى للمسألة، فأرسل إليه من الحبس بحساب كل صنف فى جريدة على حدة. حينئذ سر قراقوش وعفا عنه قائلًا: لقد تعبت يا فقيه، نقيت هذا من هذا وذا من ذا، زفوه فى المدينة. رأيت إلى ابن ممتى كيف يسخر من قراقوش، إذ جعله يظن حين أفرد القاضى كل صنف بجريدة أنه لحنى الأصناف بعضها عن بعض. وينقلنا ابن ممتى من هذه النادرة إلى نادرة أخرى لا تقل عنها طرافة، وذلك أن النيل توقف بمصر أياما، فنظر قراقوش فرأى جمال السقاين وهى تسير فى شوارع القاهرة عشرين عشرين فقال: يا غلمان! نادوا